معهد الدين القيم

بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (3)

التاريخ : الخميس 28 - 3 - 1440 هـ

الدرس الثالث من دروس شرح الأصول الثلاث

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

مرّ معنا في الدرس السابق ذكر المسائل الأربع التي وردت في سورة العصر والتي يجب على الإنسان إذا أراد نجاة نفسه، وأن لا يكون من الخاسرين أن يتعلّمها وهي:

[العلم، والعمل، والدعوة، والصبر]، وذكر المؤلّف رحمه الله أنّ العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيّه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة؛ فيعرف ذلك كلّه بالأدلة لا بالتقليد ولا بالهوى.

وذكرنا كذلك تعريف الإسلام بمعناه العام وبمعناه الخاص، وممّا يُعلم هنا أنّ دين الأنبياء كلّهم من أوّلهم إلى آخرهم هو الإسلام، وأنّ الله تعالى لن يقبل من أحدٍ غيره؛ قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ، وجاء في الصحيحين؛ صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأنبياء إخوة لعَلاَت، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد)، وإذا كان ذلك كذلك فيمكن أن نقول في تعريف الأسلام بمعناه الخاص هو: **الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.**

لأنّ المعنى الخاص يدخل في المعنى العام، فإنّ دين محمد صلى الله عليه وسلم هو دين جميع الأنبياء؛ دينهم واحد، فلا يأتي أحد فيقول: أنا مسلم على دين موسى عليه السلام، ويقول آخر: أنا مسلم على دين عيسى عليه السلام، ويقول لنا: أنا مستسلم لله بالتوحيد، مُنقاد له بالطاعة، مُتبرّأ من الشرك وأهله؛ لكن هو غير متبعٍ لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ متبعٌ لرسولٍ غير محمد صلى الله عليه وسلم، وقلنا فيما سبق أنّ أتباع الرسل مسْلمون في زمن رُسُلهم، أمّا بعد بعثة

محمد صلى الله عليه وسلم فليسوا بمسلمين، لذلك هذا المعنى الخاص يُخصص المعنى العام؛ فيكون الإسلام هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نسخ الله به جميع الأديان والشرائع، فلا دين إلا دينُه، ولا شرع إلا شرْعه، قال الله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٨٥) آل عمران.

درْسُنا لهذه الليلة بإذن الله تعالى: سيكون إن شاء الله في التعليق على المقدمة الثانية التي قدّم بها المؤلف -رحمه الله- بين يديْ رسالتِه:

قال المؤلف -رحمه الله -:

(اعلم رحمك الله أنّه يجب على كلّ مسلمٍ ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهنّ).

قوله: **(اعلم)** سبق وأن أشرْنا إلى أنّ هذه الكلمة يُؤتى بها لإثارة الانتباه لِما سيُلْقى عليك.

وقوله: **(رحمك الله)** فيه الدعاء للطالب؛ وهذا من الأسلوب الحسن ومن التلطّف مع الطالب، وهذا من أعظم وسائل التعليم، ولا يكون المُعلم شديدًا قاسيًا فإن هذا يُنفِرُ الطالب عن تحصيل المطلوب.

وأمّا قوله: **(يجب)** فقد مرّ معنا ونُعيد ذلك كي يتقرّر ذلك عند الطالب، وقد يرى الطالب هذا الأسلوب كثيراً خلال هذه المدارسة؛ فلا يأخذه السأمُ والملل.

قال الشيخ الحافظ الحكُميُ رحمه الله:

فلا يُمِلَّنَك ما تكرّرا *** لعله يحلو إذا تقرّرا

فالواجب لغة: هو الساقِط، وهو اللازم، وهو الحتم، (أي: يلزمُك أن تعلم، ويتحتم عليك أن تعلم).

وأمّا في الاصطلاح: **فهو ما أمر به الشارع أمرًا جازمًا، أو: ما يُثاب فاعله ويستحق العقوبة تاركه.**

وهذا الواجب ينقسم إلى قسمين:

- *واجبٌ كفائي:* **وهو الذي إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين.**

- *واجب عيني*: **وهو الذي يلزَم كلّ واحدٍ بعينه. (وهو المقصود هنا).**

فهذا الأمر بتعلُمِ هذه المسائل موجه لجميع المُكلّفين إنسهم وجنّهم، رجالهم ونسائهم، وليس الأمر للاستحباب أو النفل، بل يتعيَّن ويجب على كلّ واحد بعينه.

وأمّا قول الشيخ رحمه الله:

(مسلمٍ ومسلمة): فإنّ النساء شقائق الرجال؛ لأنّ الأصل عموم الشريعة فهي تشمل الرجال والنساء إلّا ماخصّه الدليل؛ كالجهاد في سبيل الله مثلا، وكصلاة الجماعة؛ فهذه تجب على الرجال دون النساء، ولولم يقُل المؤلف رحمه الله **(ومسلمة)** لدخلت المسْلمات تحت قوله **(مسلم)**، لكنّه نصّ عليها هنا للتأكيد.

وقوله: **(تعلّم ثلاث هذه المسائل)** لا مجرد القراءة والمطالعة وإنّما التعلّم يكون بالحفظ والفهم.

قال رحمه الله

: [الأولى: أنّ الله خلقنا].

أولى هذه المسائل الثلاث التي سيذْكرها الشيخ رحمه الله **(أنّ الله خلقنا).**

ومعنى *خلقنا* أي: **أوجدنا من العدم، من لا شيء.**

ودليل أنّ الله خلقنا عقلي وسمعي :

- *العقلي* : **مايثبُت بالعقل والتفكُر** .
- *السمعي*: **مايثبت بأدلة الكتاب والسنة.**

الأدلة السمعية : كثيرة منها قول الله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٦٢) الزمر

وقال تعالى: {قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا } (٩) مريم،

وقوله تعالى: {ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) الذاريات.

أمّا الدليل العقلي : فإنّ كلّ حادِثٍ لا بدّ له من مُحدِث؛ ووجود مثل هذا الخلق العجيب لا يُمكن أن يكون صدفةً، والإنسان قبل وجوده عدم، والعدم ليس له القدرة على أن يوجد نفسه فضلًا أن يوجد غيره! وإلى هذا أشار الله عز وجل بقوله: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ }(٣٥) الطور.

ثم قال المؤلف رحمه الله:

(ورزقنا).

من الأدلة السمعية : قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} ٥٨ الذاريات،

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ } (٣)فاطر.

أمّا الدليل العقلي : على أنّ الله رزقنا، فإننا لا نعِيش إلّا على طعام وشراب؛ وهذا الطعام والشراب هو من مخلُوقات الله تعالى، والإنسان بعمله للحِراثة والسقيْ ماهو إلّا سبب ؛ وإلّا فإنّ الله هو المُسبِبُ حقيقة، فمن الذي يرزق الجنين ويُوصل له الطعام والشراب وهو في بطن أمّه من غير حولٍ منه ولا قوّة؟

ثم قال رحمه الله:

(ولم يتركنا هملاً).

الهمل : **هو الشيء المُهمَل المتروك، الذي لا يُعْبئُ به.**

الله عز وجل لم يتركنا هملا بلا أمر ولا نهي، ولا بيان لما نحتاجه في ديننا ودنيانا، بل بيّن لنا طريق الخير وطريق الشر، قال الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } (١١٥) المؤمنون

وقال تعالى: { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } (٣٦) القيامة

وقال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) الذاريات

وهذه غاية خلق الجن والإنس؛ وهي عبادة الله وحده و توحيده.

والآيات الشرعية التي تدلّ على هذه الغاية كثيرة:

ومن الآيات العقلية التي تدلّ على أنّ الله سبحانه وتعالى لم يترُكنا هملًا ولم يخلُقنا سدى؛ أنّه لا يليق بحكمة الله عز وجل أن يخلق هذا الخلق العجيب، ويُسخر لنا هذا الكون بأكمله ويرسل الرسل، ويُبيح لهم دماء المُعارضين ثم يترُكنا نموت ونذهب دون نتيجة! فهذا عبثٌ لا يليق بحكمة الله عز وجل.

فمِن عدْل الله عز وجل أنّه يُجازي المُحسن ويُعاقِب المُسيء.

قال الله تعالى: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } (٣٥) القلم

وقال تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (٢٨) ص

ثم قال رحمه الله تعالى:

(بل أرسل إلينا رسُولاً).

لمّا كانت هذه العبادة التي أمرنا الله عز وجل بها وخلقنا لها لا تُؤخذ من استحسانات البشر وآرائهم وعقولهم؛ أرسل الله الرسُل ليُبيّنُوا للناس كيفية هذه العبادة، ويُنذِروهم ويبشروهم.

قال الله تعالى: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (٢٤) فاطر

فهذه العبادة التي أمرنا الله بها وخلقنا لها تؤخذ عن الرسل لا تؤخذ عن غيرهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من عمل عملًا ليس عليه أمْرُنا فهو رد] وهذا الحديث بهذا اللفظ أخْرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وهو متفق عليه .

والرسول رجلٌ من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه لإقامة الحجة عن الخلق قال الله تعالى: { رسلًا مبشرين ومُنْذرين لئلا يكُون للناس على الله حجّة بعد الرُسل } .

والله عز وجل تفضل على هذه الأمة، وأرسل إليها أفضل رُسُله وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسلهُ الله إلينا كما أرسلَ مَنْ قبله إلى أُممِهم ؛ ليُبيِن لنا الحكمة التي خُلقنا من أجلها وهي عبادة الله عز وجل ، وليُبيِن لنا كيفية هذه العبادة وأمرنا بالتوحيد، ونهانا عن الشرك والبدع والمعاصي.

(فمن أطاعهُ دخل الجنّة) أي: من أطاع هذا الرسول المُرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم كان جزاءه دخول الجنّة.

في الحديث الصحيح الذي رواهُ البخاري رحمه الله من حديثِ أبي هريرة- رضي الله عنه -قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ أُمتي يدخلون الجنّه إلا مَنْ أبى قالوا: ومَن يأبَى يا رسول الله؟ قال: مَنْ أَطاعني دخلَ الجنّه ومن عصاني فقد أبى).

فطريق الجنّة هي طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) الأحزاب، وقال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم }(١٣) النساء.

ثم قالَ رحمه الله:

(ومن عصاهُ دخلَ النّار) أي: من عصى هذا الرسول الذي أرسلهُ الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم أدخلهُ الله النّار جزاءَ عِصيانه رسول ربّه.

قال الله تعالى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ }(١٤)النساء، وقال تعالى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} (٣٦) الأحزاب.

(والدليل) أي: والدليل على إرسال هذا الرسول:

قال المولف:

(والدليل قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} (١٦) المزمل

(إنّا): الضمير يرجع الى الله سبحانه وتعالى وهذا ضمير المُعظِم نفسه، لأنّه عظيم سبحانه وتعالى.

(أرسلنا): وهذا كذلك ضمير العظمة، أي: بعثنا، أرسلنا: أي بعثنا .

(إليكم): أي: إليكم أنتم معشر الجن والإنس؛ لأنّ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة عامّة شاملة.

(رسولا): إنّا أرسلنا إليكم رسولاً؛ وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

(شاهدًا عليكم): يشهد عليكم أمام الله عز وجل أنّه بلّغكم؛ وهذه الحكمة من إرْسال الرسل، إقامه الحجّه على أقوامهم.

(كما أَرسلنا إلى فرعون رسولاً): مثلما أرسلنا موسى عليه السلام إلى فرعون ليُقيم عليه الحجّه، وفرعون هو ملكٌ تَجَبّر، وادّعى الربوبية فقال: (أنا ربكم الأعلى).

(فعصى فرعونٌ الرسول): كفر فرعون بموسى عليه السلام رغمَ الآيات التي جاءه بها.

(فأخذناه أخذاً وبيلاً) أي: أخذ الله عزَّ وجل فرعون أخذاً شديداً قوياً؛ فأغرقه الله وقومه في البحر، ثم أدخلهم النّار، قال تعالى :{ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} .

فهذه ثلاث عقوبات حصلت لهم:

* الإغراق في الدنيا.

* والعذاب في البرزخ الى قيام الساعة.

* ثمَّ الدخول إلى أشد العذاب يوم القيامة.

قال الله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}، أي: في البرزخ، في القبر، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }(٤٦)غافر، فكلّ من عصى الرسول تكون عاقبتُه ومآلُه إلى ما آل إليه من عصى موسى عليه السلام أو أشد.

وخلاصة هذه المسألة: أنّها تتضمن توحيد الربوبيه في قول المؤلف رحمه الله: **(أنّ الله خلقنا ورزقنا).**

ويُؤخذ كذلك من هذه المسألة : وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فأنت أيّها المخلوق قد تكفّل الله بخلقك ورزقك، وأرسل إليك رسولاً، لغاية يجبُ عليكَ معرفتها كي تُطيعه فتكون من الفائزين؛ فالشيخ رحمه الله كأنّه يريدُ أن يُحفّزك ويُنشطك ويُهيّأك لمعرفة هذه الأصول.

ثمَّ قال المؤلف رحمه الله:

(المسألة الثانية: أنّ الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته).

المسألة الثانية من هذه المسائل الثلاث خُلاصتها أنّ من أقرّ بتوحيد الرّبوبيه؛ وأنّ الله هو الخالق الرازق؛ وجبَ عليه توحيدُه وعدم الإشراك به في عبادته؛ وهذا هو توحيد الألوهيّة، وهو أن نوّحدَ الله عزَّ وجل في عبادتنا له وهذا الأسلوبُ كثيرٌ في القرآن؛ يَذكر الله توحيد الربوبية لإلزام النّاس بتوحيد الألوهيّة.

والرسل صلوات ربي وسلامهُ عليهم لم يدعوا الناس إلى عبادة الله هكذا مُطلقاً؛ لكن أمروا النّاس أن يعبدوا الله وأن لا يعبدوا معه غيره.

قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}**

فالحاصل أننا أُمِرنا بعبادة الله، وأُمِرنا كذلك بعدم عبادة غير الله مع الله؛ فإنّ العبادة لا تُقبل إلّا اذا كانت صواباً على سنّه النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأن تكون خالصه لله وحده؛ لا يُخالطها شرك؛ فمتى خالطها شرك فسدت!

قال الله تعالى مُخاطباً نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٦٥) الزمر

وقال تعالى : { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

فإن العبادة لا تُسمّى عبادة إلاّ مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تُسمّى صلاة إلاّ مع الطهارة؛ فإذا خالط الشرك العبادة فسدت، كما أنّ الطهارة إذا خالطها ناقضٌ من نواقضِ الوضوء أفسدَ الصلاة وأبطلها.

لهذا أنت تجد الله عزَّ وجل يجْمع بين الأمر بعبادته والنّهي عن الإشراكِ به.

قال الله تعالى :{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} .

وقال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

وقال تعالى :{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }ۚ (٥) البينة.

الله عزَّ وجل أمرنا بعبادته وأمرنا بالإخلاصِ في هذه العبادة، أي : عدم الإشراك به وجاءَ في الحديث القدسيّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِل عملاً أشركَ فيه معيَ غيري تركتُه وشركه" رواه مسلم من حديثِ أبي هريره رضي الله عنه وسيأتي تعريف الشرك بإذن الله تعالى وتفصيل القول فيه.

قوله:

(ولا مَلكٌ مُقَرّب) أي: أنّ الله عزَّ وجل لا يَرضى أن يُشْرَكَ معه أحد في عبادته ولو كان ملكاً مقرّباً.

والمَلَك : واحد والملائكة، مأخوذٌ من الألوكة وهي (الرسالة)، والملائكة عباد الله المُكرمون لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون، خُلقوا من نور وهم مُقرّبون من الله عزّ وجل مكاناً ومكانةً؛ فالمكان هم في السماوات، ومن حيث المكانة أنَّ الله اصطفاهم وكلّفهم بوظائف؛ وهؤلاء مع قُربهم من الله عزَّ وجلفإنّ منهم من هو أقرب من غيرهم كجبريل عليه السلام وكحملة العرش، وهؤلاء مع

قُربهم من الله سُبحانه وتعالى فإنّه لا يرضى لنا أن نُشركهم معه في عبادته لأنّ العبادة حقٌ خالصٌ لله وحده لا شريك له.

وأمّا قوله:

(ولا نبي مُرسَل) فإنّ الله عزَّ وجل لا يَرضى أن نُشرك معه حتى النبيّين والمُرسلين وهم خير العباد وأفضلُهم كمحمّد صلى الله عليه وسلم، وكإبراهيم وموسى، وكعيسى، ونوح عليهم الصلاه والسلام؛ فإن هولاء أفضل الأنبياء والمُرسلين وأولئك أفضل الملائكة، والله عزَّ وجل لا يرضى أن نُشرِكهم معه في عبادته فغيرُهم من باب أولى.

ثُمَّ قال المولف رحمه الله:

(والدليل قوله تعالى): {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (١٨) الجن

(المساجد): *هُنا إمّا أن تكون:*

- هذه المساجد المباني المُعَدّة لإقامة الصلاة (الجوامع).
- وإمّا أن تكون مواضع السجود السبعة: الجبهة ومعها الأنف واليدين والركبتين وأطراف القدمين.
- ويُقصد بالمساجد: كذلك الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعطيت خمساً لم يُعطَهنّ أحد قبلي ... وذكر منها "وجُعلت ليَ الأرض مسجداً وطَهورا" رواه البخاري - رحمه الله -

هذه المساجد بأنواعها كلّها لله سبحانه وتعالى لا لغيره ! فلا يجوزُ لكَ أن تعبد بها غيره، لإنّك إذا فعلتَ ذلك تكون قد استعملت خلقَه في عبادة غيره.

قال الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }(١٨) الجن.

فلا: **(لا)** هذه الناهية؟

(تدعوا): خصّ الدعاء بالذكر من بين سائِر العبادات؛ لأن الدعاء يشمل العبادة، وفي الحديث (الدعاء هو العباده)، والدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة .

- ***دعاء العبادة:*** **هو التعبّد للمدْعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه** ، كالصلاة وكالصيام وغيرها .
- ***دعاء المسألة:*** **هو طلب ماينفع الداعي، و طلب كشف مايضرُّه أو يدفعه**، وسيأتي تفصيل الدعاء بأقسامه لاحقًا إن شاء الله.

وكلمة (أحداً) عند أهل الأصول نكرة مسبوقة بنهي وهو (فلا تدعوا)؛ والقاعدة عند الأصوليين أنّ النكرة إذا سبقها نهيْ أو نفي فإنّها تُعم وتشمل كلّ أحدٍ؛ فلا تدعوا مع الله ملكًا، ولا نبياً، ولا شجرًا ، ولا حجرًا ، ولا جنًا ولا جمادًا ، ولا غير ذلك... فلا تدعو مع الله أحدًا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(الثالثة أن من أطاع الرَّسول ووحَّد الله لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله) .

المسألة الثالثة من هذه المسائل الثلاث مُتعلقةٌ بأصلٍ عظيم من أصول الدّين وهو من حقوق التوحيد، ومن المسائل التي وردت فيها النصوص الكثيرة ألا وهي :

مسألة الولاء والبراء؛ الولاء للمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين، فإنّه من حقق المسألة الأولى فوحّد الله تعالى، واتبع رسوله صلى الله عليه وسلم وحقق المسألة الثانية ولم يُشرك معه غيره؛ لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله، ومعنى ***حادّ الله:*** أي هو في حد والله ورسوله في حد.

والموالاة: من الولاء وهي هنا المحبة والنصرة؛ فالمسلم المُوحِّد لا يحبّ الكافر ولا يوادّه؛ بل يبغضه ويعتقد أنّه عدوٌ له .

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٥١) المائدة

(ولو كان أقرب قريب): أي نسباً، فإذا كان هذا القريب مُحاد لله ورسوله فإنّه يجب عليك عدم موالاته.

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } (١١٤) التوبة.

وقال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ }

ثم قال رحمه الله:

(والدليل قوله تعالى :"{ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٢٢) المجادلة

(لا تجد): الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته تبعٌ له في ذلك **(فلا تجد):** أي لا يقع هذا ولا يكون موجودًا أبداً، أن يكون هناك قومٌ يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله؛ فلا يمكن أن يجتمع إيمان بالله ورسوله مع موالاة لأعداء الله ورسوله .

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } (١) الممتحنة

إلى أن قال :{ (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَه }(٤) الممتحنة

قوله تعالى: (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان)

(أولئك): أي: الذين لا يوالون أعداء الله.

(كتب): أي: أثبت في قلوبهم الإيمان ورسَّخه.

(وأيّدهم بروحٍ منه): أي: بقوة منه وبنصرٍ من عنده.

ويدْخلُهم جنّات تجري من تحتِها الأنهار خالدين فيها، ورضي الله عنهم ورضُوا عنه لمّا أغْضبوا أعداءه فكان جزاؤُهم أن رضيَ الله عنهم، وهؤلاء هم حزب الله حقًا وصِدقًا لا ادِعاءًا وزورًا؛ فكانوا أنصار الله تعالى لا أنصارًا للشيطان.

ومّما يجْدُر التنبيه عليه في هذه المسألة خصوصًا أنه كثُر فيها الخلط أمور مهمة نبّه عليه العلماء، *ومن هذه الأمور:*

أنّ مسألة البراءة من الكفار وعداوتهم قائمة إلى يوم الدين، ومع هذا البُغض والعداوة فإنّه لا يجب إهمال دعوتهم إلى الإسلام فإنّ إسلامهم مطلبٌ شرعي؛ يحصل به الخير الكثير.

والبراءة منهم لا تقتضي مقاطعتهم في الأمور الدُنيَوِية كالبيع والشراء؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الكفار بيعًا وشراءا .

ولا يعني البراءة منهم كذلك عدم الإهداء لهم؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم أهدى لهم فتألّف قلوب من يُرْجى إسلامه منهم كي يتقوى الإسلام بإسلامهم وقبِل هداياهم وأكل طعامهم المُباح .

وممّا يُنبَّه إليه كذلك أنّ الوالد الكافر على ولدِه المسلم أن يبرّه ويُطيعُه في طاعة الله ورسوله ولا يُطيعه في الكفر؛ قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا } .

هذه البراءة من الشرك وأهله تكون بالقلب واللسان والجوارح.

فبالقلب تُبغضهم في قلبك، وباللسان قال الله تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُون } (٢٦) الزخرف، وأمّا بالجوارح : فتكون بعدمِ التشبّه بهم في ألبستهم ومظاهرهم الخاصة ، ومشاركتهم أعيادهم ؛ وعليه فيتلخصُ لنا من خلال هذه المسألة الأخيرة:

أنّ شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يريد أن يقول لنا أنّه لا يستقيم للإنسان إسلامٌ ولو وحّد الله عز وجل وترَك الشرك إلّا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء والبراءة مِنهم ، هذا ما تيسّر جمعُه، والله تعالى أعلى وأعلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغْفرك وأتوب إليك.